مجلة الآداب

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 02/ 01/ 2023
تاريخ القبول: 26/ 02/ 2023

الغايات الدعوية في العناية بالموارد الطبيعية

عطية بن عبدالله الحارثي*
At.ab@hotmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى إبراز أهمية غايات ومبادئ الإسلام في الدعوة إلى العناية بالموارد الطبيعية، كونها مصدرا غنيا للقيام بمصالح الإنسان وتحقيق معنى العبودية على الوجه الأكمل، وأن الإضرار بها يترتب عليه نتائج وخيمة ومفاسد خطيرة تتقاطع مع كمال الدين الإسلامي الذي يحقق مصالح الإنسان في المعاش والمعاد، وقد تطلّب ذلك اتباع المنهج الوصفي الاستنباطي، وتم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين، تناول المبحث الأول ومن خلال مطلبين التعريف بمفردات البحث، والمكونات الأساسية للطبيعة، وفي المبحث الثاني تم بيان الغايات الدعوية من المحافظة على الموارد الطبيعية، من خلال سبعة مباحث، وفيها تم مناقشة: حفظ التوازن الطبيعي، مواجهة الإفساد في الأرض، رعاية أمانة الاستخلاف في الأرض، الانتفاع بالموارد الطبيعية، التأمل والاعتبار عبر التفكر في آيات الكون، الاستمتاع والتذوق الجمالي بما خلق الله في الطبيعية، شكر نعم الله تعالى، وتوصل البحث إلى عدد من النتائج لعل من أبرزها: شمولية شريعة الإسلام ودعوته، ووفاؤها بجميع متطلبات البشرية، وقدرتها التامة على تنظيم حياة الناس تنظيما دقيقا، عادلا متقنا، ومسايرتها ركب الحضارة ومستجدات العصر.

الكلمات المفتاحية: الغاية، الدعوة، العناية، الموارد الطبيعية.

* طالب دكتوراه، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كليّة الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: الحارثي، عطية بن عبدالله، الغايات الدعوية في العناية بالموارد الطبيعية ، مجلة الآداب، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، مج11، ع2، 2023: 501-543.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

(EISSN):2708-5783 ISSN:2707-5508
https://doi.org/10.35696/.v11i2.1531

OPEN ACCESS
Received: 02/01/2023
Accepted: 26/02/2023

مجلة الآداب

Islamic Dawa'a-related goals for natural resources preservation

Attia Bin Abdullah Al-Harthy*
At.ab@hotmail.com

Abstract:

The purpose of this study is to highlight the significant Islamic goals and principles calling for natural resources preservation, being a rich source in the best interest of mankind, and perfectly fulfilling an act of worship. It is also underlined that doing harm to natural resources entails grave consequences that come in binary opposition with perfect Islamic principles for the good of humans in life and the hereafter. The deductive descriptive approach was followed, and the study was divided into an introduction and two chapters. The first chapter, subdivided into two sections, provided the definition of terms and listed nature's major components. The second chapter, in seven sections, discussed the Islamic Dawa'a related-goals and calls for preserving natural resources. The chapter covered topics such as preservation of natural balance, fight against corruption, fulfillment of earth inheritance trust, and proper use of natural resources, contemplation over the signs of the universe, enjoyment of God-created natural attractions, and praise in return for Allah's blessings. The study concluded that Islam is an inclusive comprehensive just religion that meets all humanity needs, fully regulating people's life affairs in line with contemporary civilization and present-day developments.

Keywords: Purpose, Islamic Dawa'a, Preservation, Natural resources.

* PhD Student, Department of Islamic Da'wah and Culture, Faculty of Islamic Da'wah and Fundamentals of Religion, Islamic University of Madinah, Saudi Arabia.

Cite this article as: Al Harthy, Attia Bin Abdullah, Islamic Dawa'a-related goals for natural resources preservation, Journal of Arts, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen, V 11, I 2, 2023: 501 -543.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

(EISSN):2708-5783 ISSN:2707-5508
https://doi.org/10.35696/.v11i2.1531

المقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. أما بعد:

فإن للإسلام أصولا وقواعد تبنى عليها الغايات والأحكام ومن ذلك هذه القاعدة الأصولية من القواعد الخمس الكبرى **(الأمور بمقاصدها)**[1] ولذلك فإن غايات المحافظة على الموارد الطبيعية وحمايتها في الإسلام قبل أي شريعة وحضارة من الحضارات مطلب شرعي دعوي، لأنه دين شامل وكامل أرسى الأسس والقواعد والمبادئ التي تحقق التوازن بين الإنسان والطبيعة المحيطة به من حوله.

ومما يجدر ذكره أن قضية الموارد الطبيعية وما تعانيه من تدهور واستنزاف وسوء استخدام أصبحت من القضايا الملحة في عالمنا المعاصر بعد ظهور بوادر مشكلات لا طاقة للبشرية بها. وعالمنا العربي والإسلامي مع الأسف بعيد كل البعد عن الوعي والحس بجوانب الطبيعة، ويغلب عليه عدم الاهتمام بذلك إلا القليل. وقد جاء في القاعدة الشرعية **(مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب)**[2]، ومن هذا الواجب التحذير من الفساد، ومن ذلك التعامل مع الموارد الطبيعية والتحذير من الإخلال بها، قال تعالى: {ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ} [سورة الروم:41].

وهذا مما يدل على الاهتمام والعناية الفائقة بمنع الفساد بجميع أنواعه وصوره ومن ذلك الفساد والإخلال بالموارد الطبيعية؛ مما قد يعرضها لما يسمى في العصر الحديث: (مشكلة التلوث)، وقد سمى القرآن الكريم هذا التلوث "فسادا" وهو أبلغ وأوضح من مصطلح تلوث؛ مما يدل كما قلنا سابقا على غاية الدعوة في العناية والاهتمام بمثل هذه المواضيع من قبل أن تُعرف في العصر الحديث، ومن ذلك ما جاء عن النبي ﷺ في النهي عن البول في الماء الراكد، فقال ﷺ: (لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه)[3]؛ لأن هذا العمل ينشر الأمراض والأوبئة الخطيرة والمعدية بين أفراد المجتمع، ويمنع من الانتفاع بهذا الماء. وفيه الحياة كما قال تعالى:{ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ } [الأنبياء:30].

موضوع البحث:

تناول هذا البحث توضيح الغايات والأهداف التي تتعلق برعاية الدعوة وعنايتها بالموارد الطبيعية، وبيان كمال الدين الإسلامي في ذلك بما يحويه من تشريعات تشمل جميع مناحي الحياة، وإظهار أن العناية بها من الإسلام والدعوة إلى ذلك من مطالب الإيمان بالله ومكارم الأخلاق.

أهمية البحث:

يعالج البحث معرفة العلاقة بين الدعوة الإسلامية وغايتها النبيلة في نظرة الإسلام للحياة والكون.

أهداف البحث:

تتجلى هذه الأهداف في الأمور الآتية:

- أن للدعوة الإسلامية غايات في العناية بالموارد الطبيعية وعدم الإضرار بها ومن ذلك أنها مصدر غني وثري للقيام بمصالح الإنسان وتحقيق معنى العبودية لله على أكمل وجه. وهذا من كمال الدين الإسلامي الذي يحقق تلك المصالح في المعاش والمعاد، قال تعالى: {مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ}[سورة الأنعام:38]. وذلك لا يتم إلا بالاهتمام والعناية بهذه الموارد الطبيعية وسلامتها. ومن القواعد الشرعية المقررة في ذلك قاعدة (الأمور بمقاصدها)[4]، وقاعدة (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[5].
- الحاجة المعاصرة لمعرفة غايات ومبادئ الإسلام والدعوة في العناية بالموارد الطبيعية من مصادر الشريعة الإسلامية، ومعرفة أن حضارة الإسلام قائمة وشاملة بهذا منذ قرون عديدة.
- أهمية معرفة الأضرار الوخيمة والمفاسد الخطيرة للإضرار بالموارد الطبيعية المختلفة وفق الغايات الدعوية.

مشكلة البحث وأسئلته:

- هل للدعوة الإسلامية عناية بالموارد الطبيعية؟
- ما هي العلاقة بين الدعوة الإسلامية والموارد الطبيعية؟
- ما هي الغايات من الدعوة الإسلامية والأهداف للعناية بالموارد الطبيعية؟

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين بهما عدة مطالب.

المقدمة: اشتملت على: موضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، وخطته.

المبحث الأول: مدخل تمهيدي وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمفردات البحث.

المطلب الثاني: المكونات الأساسية للطبيعة.

المبحث الثاني: وفيه بيان الغايات الدعوية من المحافظة على الموارد الطبيعية، وفيه سبعة مباحث:

المطلب الأول: حفظ التوازن الطبيعي.

المطلب الثاني: مواجهة الإفساد في الأرض.

المطلب الثالث: رعاية أمانة الاستخلاف في الأرض.

المطلب الرابع: الانتفاع بالموارد الطبيعية.

المطلب الخامس: شكر نعم الله تعالى.

المطلب السادس: الاستمتاع والتذوق الجمالي بما خلق الله في الطبيعة.

المطلب السابع: التأمل والاعتبار عبر التفكر في آيات الكون.

الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات، ثم الفهارس.

المبحث الأول: تمهيد

المطلب الأول: التعريف بمفردات البحث.

أ/مفهوم الغاية.

(لغة - اصطلاحا)

1 - الغاية لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: الغاية: مدى الشيء. والغاية أقصى الشيء. الليث: الغاية مدى كل شيء وألفه ياء، وهو من تأليف غين وياءين، وتصغيرها غيية، تقول: غييت غاية. وفي الحديث: أنه سابق بين الخيل فجعل غاية المضمرة كذا؛ وغاية كل شيء مداه ومنتهاه[6].

2 - الغاية اصطلاحا:

يرد مصطلح (غاية) في الفقه في مواطن، منها: كتاب الطهارة، باب: صفة الوضوء، وكتاب الصيام، باب: شروط الصوم، وكتاب الحج، باب: الطواف، وباب: السعي، وغير ذلك من الأبواب. ويطلق في كتاب السبق، ويراد به: المسافة المحددة للسباق. وورد في علم أصول الفقه في باب: دلالات الألفاظ، عند الكلام عن معاني الحروف، وأن حرف "إلى"، و"حتى"يفيدان الغاية. ويطلق في علم المقاصد الشرعية، ويراد به: المعاني والحكم المقصودة[7].

ب/ مفهوم العناية.

(لغة - اصطلاحا)

لغة: عناه الأمر يعنيه ويعنوه عناية وعناية وعنيا: أهمه، واعتنى به: اهتم. وعني، عناية[8].

اصطلاحًا: العناية من تدبير الله تعالى للمخلوقات: عنايته بهم، و"دليل العناية"، ويسمى: دليل النظام، أو التناسق؛ لأنه يفتح للعبد آفاق النظر والتأمل في الكون، وما فيه من مخلوقات، وما تدل عليه بأحوالها، وشواهدها، وهو يدل على عناية الله بأمر هذا الكون، وتدبيره لخلقه، سبحانه، وما يدل عليه ذلك من علمه، وحكمته، وقدرته، ورحمته بخلقه، سبحانه، ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها دليل العناية قوله تعالى: {وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ} [الحجر:19-22].

ج/ مفهوم الطبيعة:

(لغة - اصطلاحا)

الطبيعة في اللغة:

جاء في معجم الرائد: طبيعة: عالم الكائنات الحية والجامدة، طبيعة: في الاقتصاد العامل الأول في الإنتاج، وتشمل الأرض والماء والهواء والحرارة والضوء[9].

الموارد الطبيعية اصطلاحًا:

الموارد مفهوم واسع للغاية، ويمكن تعريفه بأنه كل ما يفيد ويسهم في قيمة المجتمع والحياة؛ مثل الماء والهواء والغذاء والحيوانات، والنباتات والمعادن وغيرها. وتختلف قيمة كل مورد من الموارد وفقاً لمساهمته في الحضارة البشرية، لذلك يمكننا تقسيم الموارد بشكل أساسي إلى قسمين هما: الموارد الطبيعية والموارد البشرية.

وهناك اختلافات بين هذين النوعين، فالموارد الطبيعية هي جزء من العالم العضوي، فهي الأشياء الموجودة في البيئة التي لم يصنعها الإنسان والتي نستخدمها بشكل يومي، في حين أن الموارد البشرية عبارة عن الأفراد والأشخاص والأشياء التي تكون من صنع الإنسان، ويمكن أن تشير إلى القدرات والمواهب والوظائف البشرية[10]،

وقد أوجز إعلان مؤتمر البيئة البشرية في استوكهولم عام 1972م مفهوم الطبيعة بأنها: "كل شيء يحيط بالإنسان" ولها مكونات أساسية[11].

مفهوم الموارد الطبيعية في الاصطلاح الإسلامي والتصور الإيماني:

المتأمل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يدرك اشتمالهما على ألفاظ وعبارات ترشد إلى الطبيعة بالمعنى، كما يدرك أن الموارد الطبيعية في الواقع الإيماني المحسوس تشكل كيانا حيا نابضا. وقد طُلب من الإنسان المسلم أن يستثمر عمره باعتباره بعدا زمنيا مهمًا في تعامله مع الموارد الطبيعية والتأمل في مخلوقات الله، وجُعل ذلك دليلا على صدق الإيمان ومن غايات الدعوة قال تعالى: {قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ} [يونس:101]، والآيات في ذلك كثيرة جدا.

إن مفهوم الطبيعة في التصور الإيماني، يعني جملة الأشياء التي تحيط بالإنسان، بدءا من الأرض التي تقله، وصعودا إلى السماء التي تظله، وما بينهما من العوامل والمؤثرات المختلفة، كما أنها تتعمق داخل النفس البشرية فتضبط ما فيها، مستعلية على غرائز الشر، بل وساعية إلى تهذيبها؛ ذلك أن شريعة التوحيد لا تقف بالإنسان عند حدود الماديات وشكلها، وإنما تجعلها وسيلة للدعوة لبلوغ الهدف الأسمى والمقصد الأسنى، ألا وهو تزكية النفس وتطهيرها، وإعادة صياغتها على نحو خال من العقد والانفصامات، وهو ما تنفرد به الحنيفية السمحة عما سواها من شرائع البشر وقوانينهم

الوضعية التي ربما تسيطر على الجوارح، ولكن لا سلطان لها على الأرواح التي لا سبيل إلى تطهيرها وتزكيتها إلا بالإيمان بالله وحده واتباع شرعه القويم، قال تعالى:{قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا} [الشمس:9-10].

فالموارد الطبيعية مخلوقة لبني آدم ومسخرة لهم، ومذللة لمنفعتهم، قال تعالى: {هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ} [سورة البقرة:29]، وقال: {هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ} [الملك:15].

فالموارد الطبيعية في المفهوم الإسلامي والتصور الإيماني بمكوناتها المعروفة ذاكرةٌ لله ومسبحةٌ له كما قال تعالى: { وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ} [الإسراء:44]، وهي داخلة في عبودية الله وطاعته قال تعالى: {وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ} [سورة الرحمن:6]، فإذن هي تؤدي دورها في الحياة وفق شرع الله ومراده؛ ولذلك وجب على الإنسان أن لا يتجاوز فيها شريعة الله وأحكامها في العناية بها وعدم الإضرار بها وتحقيق الغايات الدعوية من خلقها ووجودها، لتحصيل الإيمان بالله والترقي في مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

المطلب الثاني: المكونات الأساسية للطبيعة

أولا: الهواء والغلاف الجوي.
ثانيا: الماء.
ثالثا: الأرض.
رابعا: الكائنات الحية الحيوانية.
خامسا: الكائنات الحية النباتية.

أولا: الهواء والغلاف الجوي

خلق الله الإنسان، وجعل الأرض صالحة لحياته ومعيشته وهي مكونة من نباتات متنوعة، وكائنات مختلفة، وأنهار وعيون، وهواء نقي منعش، وتربة تنمو فيها كل الخيرات. وبذلك وجد الإنسان ما سهل له العيش والسعادة قال تعالى: {أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا} [النبأ:6].

ولما تزايدت أعداد البشر على وجه الأرض، وبدأ الناس يتجمعون بأعداد كبيرة في المدن والقرى، أصبح تلوث الهواء مشكلة، ثم تطور الأمر إلى أن أصبحت المدن غير النظيفة أرضا خصبة لأوبئة تحصد أرواح السواد الأعظم من السكان.

وفي القرن التاسع عشر الميلادي، كان تلوث الهواء والماء وتجمع الفضلات الصلبة مشكلة لبعض المدن الكبيرة، ولذلك كانت الدعوة إلى العناية وعدم الإضرار بهذه الموارد، ومراعاة آداب الإسلام فيها بما يحقق الحياة الكريمة للإنسان وكل ما يحيط به، وخصوصا مع تطور الصناعة وانتشار التقنية في عصرنا الحاضر، الذي أصبح التلوث مشكلة عالمية فيه، عمت جميع بقاع الأرض، وأصبحنا نسمع من حين لآخر بظاهرة جديدة من ظواهر التلوث[12]، ولذلك كانت الدعوة إلى العناية وعدم الإضرار بهذه الموارد، ومراعاة آداب الإسلام فيها بما يحقق الحياة الكريمة للإنسان وكل ما يحيط به.

لقد أصبح الترابط بين تلوث الهواء وتلوث الماء أمرا واضحا، وقد ذكر الله -عز وجل- في كتابه العزيز أمر السحاب وتأثيرها المباشر في تكوين الماء بأمره سبحانه، وذلك في آيات كثيرة، منها:

قوله تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡيِۦَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الفرقان:48-50].

وقوله تعالى: {أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزۡجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيۡنَهُۥ ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصۡرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُۖ يَكَادُ سَنَا بَرۡقِهِۦ يَذۡهَبُ بِٱلۡأَبۡصَٰرِ} [النور:43].

وقوله تعالى: {وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ} [الحجر:22].

وقوله تعالى: {وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ} [فاطر:9].

إن الهواء لا تقل أهميته عن أهمية الماء في استمرار الحياة والمحافظة عليها. وقد تكون للهواء وظائف أخرى غير مرئية للإنسان، ولا تثير اهتمامه، إلا أنها مقصودة لله عز وجل كما نبهنا القرآن إليها، فالريح يرسلها الله عذابا لبعض الأقوام وانتقاما منهم، قال تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة:6]، والرياح يسوقها الله رحمة وبشرى لأمم أخرى، كما علق بها القرآن وظيفة حيوية مهمة هي وظيفة التلقيح للنباتات.

والرياح بعد ذلك آية دالة على قدرة الله وإتقان صنعه وكماله، قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} [البقرة:164].

وقبل الحديث عن السحاب وتأثير الريح عليها في تكوين الماء، أحب أن أشير إلى أهمية الهواء الذي تجري فيه الرياح، ويتكون فيه السحاب، وينزل من خلاله المطر، وأهمية العناية به طاهرا نقيا، لأن بطهارته سيكون المطر طاهرا غير متأثر بالهواء الملوث، وستكون الرياح حاملة للرحمة، لا محملة بالملوثات والأخطار على الإنسان وعلى سائر الكائنات الحية مما قد يسبب الفساد في الطبيعة واختلال التوزان في الموارد التي أودعها الله فيها.

وتأثير التلوث الهوائي أمر مقرر، فقد أثبتت الكثير من الدراسات الوبائية والمخبرية، أن المصدر الأساس للكثير من الأمراض التي يعاني منها الإنسان في النصف الثاني من القرن العشرين، مثل أمراض الجهاز التنفسي، وأمراض القلب، وسرطان الرئة، والأنفلونزا، وغيرها؛ هو التلوث الهوائي، وقد وصلت معدلات التلوث في مناطق كثيرة إلى درجة الخطر، أو بمعنى آخر زادت عن حدود القدرة الاحتمالية لبعض عناصر النظام الحيوي، وبدأ الكثير من السكان يحسون بمشكلات التلوث وخطورتها[13].

ونجد أن العلماء الآن يعتنون بخلو الهواء من الملوثات، بل يرون أنه من المفترض أن توضع قوانين لحماية الهواء والعناية به للحفاظ على نقاوته، وهذا الذي تؤكد عليه هذه الدراسة، وهذا من غايات الدعوة الإسلامية لحفظ صحة الإنسان والحيوان والنبات.

ومما ذكروه، أن تضم قوانين تلوث الهواء النقاط التالية:

1- تعريف أنواع ملوثات الهواء.

2- تقسيم المؤسسات والمنشآت حسب نشاطها والمخلفات التي تنتجها.

3- تحديد السلطات القائمة بالمراقبة والقياس والتفتيش.

4- وضع مواصفات خاصة للتشغيل، لتقليل الملوثات الناتجة وتحديد أجهزة الحماية المطلوبة.

5- تأكيد حصول المؤسسة على ترخيص، واتباع ما جاء في ذلك الترخيص.

6- تكليف جهات وهيئات تتولى عملية قياس الملوثات وتوفير وسائل الوقاية منها.

7- تحديد تركيزات قصوى مسموح بها، مع اختلاف ذلك من مكان إلى مكان[14].

ثانيا: الماء

قال الله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} [الأنبياء:30]، لم أجد أدق ولا أصدق من هذه الآية في وصف هذا العنصر المهم من عناصر الحياة، {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا} [النساء:122].

إن الماء بصوره المختلفة في البحار والمحيطات منساب على الشواطئ بلا توقف، وفي الأنهار منحدر من أعالي الجبال، ليبث الحياة في الأرض، ويعود أدراجه إلى البحر، أو في باطن الأرض، يرويها ساخنا تارة حين يخرج من باطن الأرض، ومتجمدا أحيانا في أطراف الأرض، أو منهمرا من السماء، فتتلقاه النفوس المؤمنة راجية نزول رحمة الله عليهم وبركته على أرضهم، فهو دائر دورته متجدد في خلقته، متشكل في صوره المختلفة التي يؤدي في كل منها دورا مهما في حياة الكائنات على هذه الأرض.

هذا العنصر الذي سبقت إشارة القرآن الكريم إلى عظيم منزلته، قد جاءت الدعوة للعناية به، وآداب الإسلام المرعية فيه كثيرة، ففي أحاديث عديدة يبين لنا المصطفى ﷺ أن هذا الماء طاهر نقي في أصل خلقته، مما يوجب علينا -أداءً للأمانة التي حملناها حين استخلفنا الله على هذه الأرض- أن نحافظ عليه، ولا نعتدي على طهارته، أو الإسراف فيه قال تعالى: {وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ} [سورة الأعراف:31]؛ لأن ذلك سيؤثر سلبا علينا وعلى بقية الكائنات في هذه الأرض، التي يوجد عليها فقط -حسب علمنا المحدود- الماء بهذه الكمية والكيفية.

وقد بحث العلماء منذ تاريخ بعيد في موارد هذا العنصر العظيم من عناصر الحياة؛ وآخر النتائج التي توصل إليها علماء الجيولوجيا (علم الأرض) أن المياه الموجودة على ظهر الأرض تغطّي (71%) من سطحها، موزعة بنسب متفاوتة في عدة أماكن من مساحة الكرة الأرضية، منها ما هو ماء مالح بنسبة (97%)، في حين أن (3%) فقط من الموارد المائية تكون مياه عذبة، وأكثر من ثلثي موارد المياه العذبة موجود على شكل متجمد في المثالج والأغطية الجليدية القطبية. أما باقي موارد المياه العذبة غير المتجمدة فتوجد في المياه الجوفية، والباقي على شكل بحيرات وأنهار وجداول على سطح الأرض أو على شكل بخار ماء[15].

ومن عناية الإسلام والدعوة بمورد الماء أنه شرط في صحة كثير من العبادات، ولذلك كان له بعض الأحكام والصفات ينبغي الوقوف عليها لمعرفة آداب الإسلام وغاياته من العناية به.

ثالثا: الأرض

قال تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا} [البقرة:29]، يتحدث الله سبحانه وتعالى عن الأرض في معرض الحديث عن آلاء الله على الناس، فيقرر أن الله خلق كل ما في الأرض لهم، ومنحهم مقاليدها للانتفاع والاستمتاع والاعتبار. وفي هذه الآية العظيمة، دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة[16].

قال تعالى: {وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً‌ۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ‌ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ} [البقرة:30].

وفي الآية دلالة على أن الأرض لا بد لها من خليفة، وأن الناس لا بد لهم فيها من شريعة قائدة، وأمة هادية راشدة، بدأت باستخلاف أبي البشر آدم عليه السلام في الأرض، إلى أن استلمت مقاليدها هذه الأمة، أمة محمد ﷺ، والتي قال الله فيها: {كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ‌ۗ} [آل عمران:110].

ويؤكد النبي ﷺ هذا التفضيل للأمة، وأنها لا بد أن تقود البشرية لتحقيق الاستخلاف، والوفاء بعهده، وأن من وسائل هذه الغاية العظيمة ما جاء مثلا في الحديث عن طهارة الأرض، فعن

أبي هريرةﷺ أن النبي ﷺ قال: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون)[17].

وكون الأرض تصلح مكانا لإقامة العبادة، يوحي بضرورة العناية بها، بأن لا تنجس، ولا يُساء استخدامها، لأن الأمور بغاياتها وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وهذا المعنى يشمل موارد الأرض كلها[18]، ولا يحصل أو يكمل الانتفاع باستعمالها إلا بالطهارة، إلا ما نص الشارع على نجاسته[19].

ويدل لذلك أيضا قول النبي ﷺ كما في حديث جابرﷺ: (وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا)[20]، وفي حديث حذيفةﷺ: (وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا، وجعلت تربتها لنا طهورا، إذا لم نجد الماء)[21]، فهذه الأحاديث تدل على معنيين:

الأول: أن الأرض طاهرة بنفسها، ويستفاد هذا من قوله: (وجعلت لي الأرض مسجدا)، وإذا صحت الصلاة فيها فهي طاهرة.

والثاني: أن الأرض مطهرة لغيرها، ويستفاد هذا من قوله: (وطهورا إذا لم نجد الماء)، ولو كان الطهور في الحديث هو الطاهر لم تثبت الخصوصية لهذه الأمة؛ لأن طهارة الأرض عامة في حق كل الأمم[22].

وفي قوله: (وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا)، دليل على أن حكم الطهارة شامل لجميع أجزاء الأرض، فهي طاهرة كلها، إلا ما خصه الدليل.

أما المطهر من الأرض، فهو كل صعيد طاهر، قال الله تعالى: {فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا} [النساء:43]، والصعيد هو وجه الأرض، هكذا قال أهل اللغة، قال الزجاج: لا أعلم فيه خلافا بين أهل اللغة[23].

رابعًا: الكائنات الحية الحيوانية

لقد بيّن الله تعالى لخلقه منافع الأنعام من باب الامتنان عليهم بها، وذلك في آيات كثيرة من كتابه، منها قوله سبحانه: {وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ

ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ } [النحل:5-8].

قال: الشيخ السعدي -رحمه الله-: في قوله تعالى: {وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ} أي: لأجلكم، ولأجل منافعكم ومصالحكم[24]، ولا شك في أهمية الحيوانات وفوائدها العظيمة بالنسبة للإنسان، والقرآن الكريم يرشدنا إلى أن هذه المخلوقات لها وظائف جمالية وتزيينية أيضا، بالإضافة إلى وظائفها الأخرى.

وبما أن راحة النفس مطلب ديني ينبغي توفير أسبابه والعناية به، فقد جعل الله في المخلوقات ما يثير البهجة والسرور في النفس حرصا على راحة الإنسان النفسية؛ لما في ذلك من دفع له على العمل لأداء وظيفته، قال تعالى: {وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ } [النحل:8].

كما يذكر القرآن الكريم وظائف أخرى لهذه المخلوقات قد لا نعلمها ولا نحسها، ولكن القرآن ينبهنا إليها، وهي وظيفة العبودية لله وتسبيحه والسجود له، قال تعالى: {أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ} [الحج:18]، وقال تعالى:{ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ} [سورة الإسراء:44]، ويقول تعالى: {وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا} [الرعد:15].

والإسلام يحرص على بقاء هذه الكائنات حية تتحرك نحو أداء وظائفها المنوطة بها، لأنه يعتبرها أممًا مماثلة لعالم الإنسان، حيث يقول تعالى: {وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ} [الأنعام:38].

ومن هنا علمنا الرسول ﷺ من خلال وصاياه وتعاليمه كيف نهتم ونعتني بها، ومن هنا أوجب العناية بها وتنميتها لذاتها من ناحية، ولمنفعة الإنسان من ناحية أخرى[25].

ولذلك ظهرت عناية الإسلام والدعوة بالموارد الطبيعية من خلال الاهتمام بهذه الأنعام للمصالح والمنافع المعتبرة في ذلك، ومن هذه المصالح والمنافع:

أولا: الانتفاع بالأكل والشرب:

كما في قوله سبحانه في الآية الكريمة المتقدمة:{وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} [النحل:5].

فهذه من أعظم المنن، حيث سخر الله سبحانه هذه الحيوانات، ليأكل الإنسان من لحمها، وينتفع بها في غذائه، ويشرب من لبنها، وما تنتجه، وقد ذكّر الله عباده بهذه النعمة في أكثر من آية في كتابه، فمن ذلك قوله عز وجل: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ} [النحل:66]، وقوله تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} [المؤمنون:21]، وقوله سبحانه: {أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس:71-73]، وقوله: {ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} [غافر:79].

فهذه الآيات -وغيرها كثير-، تدل على أن الله سبحانه امتن على عباده بتسخير هذه الأنعام وإباحة الانتفاع بها في غذاء بني آدم، حيث منها يأكلون ويشربون، ولهذا قال سبحانه: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً}، أي: لآية ودلالة على حكمة خالقها، وقدرته وعظمته، ورحمته ولطفه، وسعة إحسانه[26].

قال السعدي -رحمه الله-: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ} التي سخرها الله لمنافعكم { لَعِبْرَةً}، تستدلون بها على كمال قدرة الله وسعة إحسانه، حيث أسقاكم من بطونها المشتملة على الفرث والدم، فأخرج من بين ذلك لبنا خالصا من الكدر، سائغا للشاربين للذته، ولأنه يسقي ويغذي، فهل هذه إلا قدرة إلهية، لا أمور طبيعية، فأي شيء في الطبيعة يقلب العلف الذي تأكله البهيمة والشراب الذي تشربه من الماء العذب والملح؛ لبنا خالصا سائغا للشاربين؟![27].

كما امتن الله على عباده بتسخير بعض أنواع الحشرات لهم، ومن ذلك تسخيره سبحانه للنحل، لمصلحة بني آدم، حتى يتفكروا في عظمة الخالق سبحانه، ويتأملوا في سعة رحمته ولطفه بعباده، يقول الله: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى

مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل:68-69].

ففي خلق هذه النحلة الصغيرة، التي هداها الله هذه الهداية العجيبة، ويسر لها المراعي، ثم الرجوع إلى بيوتها، التي أصلحتها بتعليم الله لها، وهدايته لها، ثم يخرج من بطونها هذا العسل اللذيذ، مختلف الألوان بحسب اختلاف أرضها ومراعيها، والذي فيه شفاء للناس - في هذا كله دليل على كمال عناية الله تعالى، وتمام لطفه بعباده، وأنه هو الذي لا ينبغي أن يُحَب غيرُه، ويُدعى سواه[28].

ثانيا: الانتفاع باللباس والأثاث والفراش وغيرها:

قال الله سبحانه في الآية المتقدمة: {وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ} [سورة النحل:5]، والمراد بالدفء هنا على أظهر القولين: ما يتدفؤون به، من الثياب المصنوعة وغيرها من جلود الأنعام، وأوبارها، وأشعارها، وأصوافها[29]، ويدل لهذا قوله تعالى: {وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ} [النحل:80].

وقال الله سبحانه: {وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ} [الأنعام:142]، أي وخلق وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشا، أي بعضها تحملون عليه وتركبونه، وهي الحمولة المسخرة المذللة للحمل، وبعضها لا تصلح للحمل والركوب عليها لصغرها، كالفصلان ونحوها، وهي الفرش، مما خلقه الله عز وجل من الجلود والصوف مما يجلس عليه ويتمهد، فهي من جهة الحمل والركوب تنقسم إلى هذين القسمين. وأما من جهة الأكل وأنواع الانتفاع فإنها كلها تؤكل وينتفع بها، ولهذا قال جل وعلا: {كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ}[30].

ثالثا: الانتفاع بالحمل والركوب وسائر الاستعمال:

امتن الله سبحانه على عباده في كثير من الآيات بتسخير الحيوانات لهم، من جهة قدرتها على حمل الأثقال التي يعجز الناس عن حملها، بل قدرتها على حمل الناس إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، يقول سبحانه: {وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ

رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [النحل:7]، ويقول جل وعلا: {وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} [الأنعام:142].

ويقول تعالى: {وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} [يس:72]، ويقول الله سبحانه ممتنا على عباده: {ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} [غافر:79-80].

فدلت هذه الآيات على أن الله بقدرته وحكمته، وسعة فضله ورحمته بعباده، ذلل الحيوانات لهم، فمنها ما يركبونه، ومنها ما يحملون عليه ما يشاؤون من الأثقال إلى البلدان البعيدة والأقطار الشاسعة، ويستعملونها في شتى أنواع الاستعمال[31].

رابعا: الانتفاع بها في الجمال والزينة:

يقول سبحانه في الآية الكريمة المتقدمة: {وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ} [النحل:6]، يعني أن اقتناء هذه الأنعام وملكيتها فيه لمالكها عند الناس جمال، أي عظمة ورفعة وسعادة في الدنيا لمقتنيها. وكذلك قال في الخيل والبغال والحمير: {لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً} [النحل:8] فعبر في الأنعام بالجَمال، وفي غيرها بالزينة، والزينة ما يُتزين به، وكانت العرب تفتخر بالخيل والإبل، ونحو ذلك كالسلاح، ولا تفتخر بالبقر والغنم[32].

وقد بين الله سبحانه أن جمال الأنعام لا يعود إليها منه شيء، بل إنكم أنتم الذين تتجملون بها بثيابكم وأولادكم وأموالكم وتعجبون بذلك[33].

خامسا: الانتفاع بها في الصيد والكسب:

والأصل في ذلك قوله تعالى: {يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ} [المائدة:4]، فدلت هذه الآية على عظيم لطف الله بعباده، ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكوه مما صادته الجوارح، والمراد بالجوارح الكلاب والفهود والصقور وأشباهها مما يصاد به بعد تعليمه[34].

وسميت هذه الحيوانات التي يصطاد بهن؛ جوارح من الجرح، وهو الكسب، كما تقول العرب: فلان جرح أهله خيرا، أي كسبهم خيرا، ويقولون: فلان لا جارح له، أي لا كاسب له، وقال الله تعالى: {وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ} [الأنعام:60]، أي: ما كسبتم من خير وشر[35].

فهذه بعض المنافع والمصالح التي ذكرها الله سبحانه وتعالى لعباده ممتنا عليهم، حيث خلق الأنعام والحيوانات لهم، وجعلها مسخرة مذللة، ولهذا قال سبحانه بعد تعداد هذه النعم: {إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [سورة النحل:7]، أي: ربكم الذي قيض لكم هذه الأنعام، وسخرها لكم، كقوله سبحانه: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس:71-73].

ومعنى ذللناها: جعلناها منقادة لكم خاضعة، تفعلون بها ما شئتم من نحر وركوب وحلب وغير ذلك من المنافع، ولولا أن الله ذللها لكم؛ لم تقدروا عليها، لأنها أقوى منكم، ألا ترى البعير إذا توحش، صار صاحبه غير قادر عليه، ولا متمكن من الانتفاع به؟! لكن الله سخرها لكم حتى يقود الصبي الجمل العظيم، ويضربه، ويصرفه كيف شاء لا يخرج من طاعته[36].

ولهذا قال سبحانه: {إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [النحل:7]، حيث إنه سخر لكم ما تضطرون إليه وتحتاجونه، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه، وسعة جوده وبره[37].

يقول الغزالي بعد أن ذكر حكمة الله تعالى في خلق الحيوانات وما أودع فيها سبحانه من العجائب والأسرار الدالة على قدرة خالقها سبحانه، وحكمته: "وجملة القول في الحيوان أن الله خلقه مختلف الطباع والخلق، فما كان منه ينتفع الناس بأكله خلق فيه الانقياد والتذلل، وجعل قوته النبات، وما جعل منه للحمل: جعله هادئ الطبع قليل الغضب، منقادا ومفصلا على صورة يتهيأ منه الحمل، وما كان منه ذا غضب وشر إلا أنه قابل للتنظيم إذا نظم خلق فيه هذا القبول للتعليم، ليستعين العباد بصيده وحراسته..." إلى آخر كلامه[38].

وبهذا يظهر أن الحيوانات مورد أساسي من موارد الطبيعة، وأن لها دورا أساسيا في التوازن، ولهذا وجب العناية بالكائنات الحية، لأن الله تعالى سخرها لتؤدي وظيفتها في الحياة -إلى جانب الإنسان- في عمارة هذا الكون.

وقد أشار القرآن كما سبق إلى كل ذلك، فذكر المنافع المختلفة التي يجنيها الإنسان من تسخير تلك الحيوانات له، وتناولتها السنة النبوية مبينة ما يحل أكله منها، وما لا يحل، وقد فصل الفقهاء

تلك الأحكام وبينوها أتم بيان، وسيأتي في أثناء هذا البحث شيء من تلك الأحكام التي يظهر من خلالها عناية الشريعة والدعوة الإسلامية بهذا المورد الأساسي المهم من موارد الطبيعة[39].

ولذلك جاءت السنة بالنهي عن أذية الحيوانات، حتى في أثناء أدائها لمهمتها التي خلقها الله لها، كالركوب والحمل عليها، والنهي عن تحميلها فوق طاقتها ومقدرتها، ومراعاة حقها في ذلك، إضافة إلى متابعة غذائها وشرابها، والنهي عن إلحاق الأذى بالحيوان نهيا مطلقا، سواء كان الأذى حسيا أم معنويا، فقد ورد النهي عن الضرب في الوجه والوسم فيه، وهو أذى حسي، قال ﷺ:(إن الله كتب الإحسان على كل شيء. فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة. وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح. وليحد أحدكم شفرته. فليرح ذبيحته)[40]، وعن ابن عمر ﷺ: (أَنَّ ناقة النبي ﷺ خَلأَتْ به يوم الحُدَيْبِية، فقالوا: خلأَت القَصْواء، فقال ﷺ: ما خلأَت، وما هو لها بخُلُق، ولكن حَبَسها حابِسُ الفيل)[41]، كما ورد النهي عن الشتم واللعن، وهو أذى معنوي، وهذه بعضٌ من أنواع الرفق التي وردت عن المصطفى ﷺ.

خامسا: بيئة الكائنات الحية النباتية

لا شك في أهمية النباتات بوصفها موردا ذا منافع عظيمة ضرورية للإنسان، فالنبات أصل الغذاء للإنسان والحيوان في هذه الأرض، حيث يخرج منه قوت مستفيد من أشعة الشمس بإذن الله، قال تعالى: {فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ} [عبس:24-32].

وإضافة إلى أهميتها الغذائية، فإن النباتات تزيد التربة، وتحميها من فعل التعرية بالرياح والمياه، وتحافظ على الماء، وذلك بالحد من جريانه، كما تلطف المناخ وتخرج الأكسجين الذي به نتنفس.

وللنباتات قيمة عظيمة، حيث يستخرج منها الأودية، والزيوت، والشموع، والعطور، والألياف، والأخشاب، والوقود، قال تعالى: {أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ} [الواقعة:71-73].

وللنباتات أيضا وظيفة مشتركة مع غيرها من المخلوقات، وهي العبودية القهرية لله عز وجل والانقياد لأمره، قال تعالى: {وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} [الإسراء:44].

والإسلام ينظر إلى النباتات من ناحيتين:

الأولى: أنها كائنات حية موجودة لذاتها، لتحقيق وظيفتها في التسبيح، وفي الدلالة على قدرة الله وحكمته.

الثانية: أنها مسخرة لخدمة الإنسان والمخلوقات الأخرى، وتؤدي دورها في عمارة هذا العالم[42].

ولهذا وردت الأحاديث في السنة النبوية حاثة على الزرع والغرس، ومرتّبة الأجر على كل أنواع الانتفاع الحاصلة من هذا الزرع، سواء أكَلَ هذا الزرع إنسان، أو حيوان، أو طير، حتى لو سرقه سارق، فإن لزارعه أجر.

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير فهو له صدقة، ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة)[43].

المبحث الثاني

غايات الدعوة الإسلامية في العناية بالموارد الطبيعية.

وفيه سبعة مباحث:

المطلب الأول: حفظ التوازن الطبيعي.

المطلب الثاني: مواجهة الإفساد في الأرض.

المطلب الثالث: رعاية أمانة الاستخلاف في الأرض.

المطلب الرابع: الانتفاع بالموارد الطبيعية.

المطلب الخامس: شكر نعم الله تعالى.

المطلب السادس: الاستمتاع والتذوق الجمالي بما خلق الله.

المطلب السابع: التأمل والاعتبار عبر التفكر في آيات الكون.

تمهيد:

إن للإسلام حكمة وغايات في الدعوة للعناية بالموارد الطبيعية؛ والتي من أهمها عدم الاجتزاء بتقرير التدابير الشرعية في العناية بها عارية عن حِكَمِها وأحْكَامِها، مجردة عن غاياتها، وذلك لأنه منزع غير مرضي في التأصيل الشرعي، من شأنه أن يحجب عن أعين الناس محاسن التشريع وأسراره الباهرة، ويفوت على المسلم فرصة الاقتناع الجازم حكمًا وحكمة، فلا يُظهر جليًا حكمة التشريع الإسلامي وغاياته وأهدافه الحكيمة في ذلك.

وإذا كان بيان الحكم والأسرار مسلكا محمودا على كل حال، فهو في عصرنا ضرورة لا محيص عنها لطغيان الإلحاد، وانتفاش المذاهب الضالة، واستقواء حركات الفكر المادي، فليس من الغناء في شيء إصدار الحكم العاري، وتقرير الفقه المجرد، اعتمادا على الامتثال المطلق للمكلف بحكم قوة إيمانه ومعتقده وإن كان هذا هو المسلك الحق عند أولي الألباب وأهل الإيمان، ولكن العقول مجبولة على استساغة المفسرات المعللات، والميل إلى الحجج المنطقية المستقيمة الناهضة، ولنا في الشرع نفسه أسوة حسنة في هذا الباب؛ إذ عني بتعليل الأحكام غير مجتزئ بالأمر المجرد والإيجاب الصارم فقط، وفي هذا الإطار كان مناسبا أن يكون التأصيل الشرعي لموضوع العناية بالموارد الطبيعية موصول الأسباب بغايات التشريع وحكمة التكليف والدعوة الإسلامية. وعند النظر في هذه الغايات[44]، نجدها كالآتي:

المطلب الأول: حفظ التوازن البيئي.

إن صنعة الله في الكون قائمة على توازن محكم لا ترى فيه تفاوتا أو فطورا، فما من مكوناته إلا وخلق لوظيفة مرسومة، وقصدت منه منفعة معلومة، قال تعالى: {مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ} [الملك:3]، وقال سبحانه: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ} [القمر:49].

فلقد بين الله في كتابه في أكثر من آية أنه سبحانه وحده الخالق للكون ومنظمه، وهو الذي وضع النواميس التي تكفل العناية بالموارد الطبيعية، وهو الذي بدأ الخلق كله، وهو الذي يحفظه بأمره وحكمه، وقد أرشد الله سبحانه إلى الاعتبار بما في الآفاق من الآيات المشاهدة من خلق الله الأشياء: السماوات وما فيها من الكواكب النيرة الثوابت والسيارات، والأرضين وما فيها من مهاد وجبال

وأودية وقفار وأشجار وأنهار وثمار وبحار، كل ذلك دال على حدوثها في أنفسها، وعلى وجود صانعها الفاعل المختار الذي يقول للشيء كن فيكون.

ولهذا قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} [العنكبوت:19-20][45]، وقال سبحانه: {قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ} [يونس:34]، وقال ﷻ: {أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [سورة النمل:64]، والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

إن هذا التوازن والتقدير من العزيز الحكيم في إتقانه للكون، وحفظه، وإحسان خلقه، يلاحَظ في كل مورد من موارد الطبيعة وعناصرها، يقول الله سبحانه: {ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:22].

ويقول تعالى: {أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ} [سورة ق:6-7]، ويقول جل وعلا: {وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} [سورة الحجر:19-21]، وقال سبحانه: {خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} [لقمان:10].

إن كل ما خلقه الله في الطبيعة قد خُلق بمقادير محددة وصفات معينة، بحيث تكفل لها هذه المقادير وتلك الصفات القدرة على توفير سبل الحياة الملائمة للإنسان وغيره من الكائنات الحية الأخرى التي تشاركه الحياة على الأرض. وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة أو الحكمة في الاتزان في البيئة، وأنه سبحانه هو وحده المقدر لذلك دون غيره، فقال سبحانه: {ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا} [الفرقان:2]، قال أهل التفسير: هذا عام في كل مخلوق، وتقدير الأشياء هو حدها بالأمكنة والأزمان، والمقادير والمصلحة، والإتقان[46].

ومن ذلك قوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ} [القمر:49]، فإن هذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية، فإن الله تعالى وحده خلقها، لا خالق لها سواه، ولا مشارك له في خلقه، وخلقها بقضاء سبق به علمه، وجرى به قلمه، بوقتها ومقدارها وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف، وذلك على الله يسير، فلهذا قال: {وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ} [سورة القمر:50]، فإذا أراد شيئا قال له: كن فيكون كما أراد، كلمح البصر، من غير ممانعة ولا صعوبة[47].

ومثل ذلك قوله تعالى: {ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ} [سورة الرعد:8]، فإن هذا لفظ عام في كل ما يدخله التقدير[48]، فكل شيء خلق بمقدار بحسب علمه سبحانه وتعالى، وهو وحده الذي يعلم أن هذا القدر هو الذي يكفل لأي مكون من المكونات أو مورد من موارد الطبيعة أن يؤدي دوره المحدد والمرسوم له، في توافقية وانسجامية غاية في الدقة[49].

ومن الأدلة على تفرد الخالق سبحانه بالخلق وإحسانه ذلك وإتقانه وتسويته وتقديره قول الله تعالى: {ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ} [الأعلى:2]، فأطلق الخلق؛ ليعم كل مخلوق، كما في قوله: {ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ} [السجدة:7]، والتسوية في هذه الآية معناها: التقويم والتعديل، وقد خلق الله كل مخلوق مستويا على أحسن ما يتناسب لخلقته وما خلق له، فلم يأت متفاوتا بل متناسبا على إحكام وإتقان، دلالة على أنه صادر عن عالم حكيم، وذلك مما يستوجب حقا له سبحانه أن يُسبَّح بحمده، حيث جمع بين الخلق والتسوية، فله كمال القدرة والتنزيه عن كل نقص[50].

وكذا قوله بعد تلك الآية: {وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ} [الأعلى:3]، فأطلق التقدير؛ ليعم كل مقدور، وهو عائد على كل مخلوق؛ لأن من لوازم الخلق التقدير، وقد قال بعض المفسرين: إن العالم كله داخل تحت منطوق هذه الآية[51].

وقد وصف الله الأرض -التي هي موطن الإنسان- بأوصاف كثيرة، تدل على أنه سبحانه هيأها؛ لتكون مكانا صالحا للحياة، فمن ذلك قوله ﷻ: {وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ۝٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا} [النازعات:30-32].

وبتأمل أقوال المفسرين، نجدها متفقة في مجموعها بأن معنى {دَحَىٰهَآ} أي: بسطها ومهدها للسكنى، وسهل الحياة عليها، وقد فسر سبحانه التمهيد بما لا بد منه في تأتّي سكناها، من تسوية أمر المأكل والمشرب، وإمكان القرار عليها، وغير ذلك من لوازم الحياة عليها[52].

ولهذا، فالطبيعة والكون وفق آيات القرآن قد سُخرت للإنسان تسخيرا، والله سبحانه حدد أبعادها ونظمها وأحجامها بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخدمة الإنسان في العالم، وقدرته على التعامل معها.

والآيات الخاصة بمسألة التسخير والتوازن والتناسب في مواضع كثيرة من القرآن الكريم يصعب حصرها، فقد قال سبحانه: {أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ} [لقمان:20]، وقال الله تعالى: {وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ} [العنكبوت:61].

وقال سبحانه: {وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝١٢ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ} [النحل:12-13].

وفي هذه الآيات ينبه سبحانه وتعالى عباده إلى آياته العظام ومننه الجسام في تسخيره الثوابت والسيارات في أرجاء السماوات نورا وضياء، لصالح معاش العباد في هذه الأرض، وكل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه، يسير بحركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسهيله، كقوله: {إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ

ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ} [الأعراف:54]، ولهذا كانت هذه الآيات دلالات على قدرته تعالى الباهرة، وسلطانه العظيم لقوم يعقلون ما أمرهم به الله، ويفهمون حججه.

وكما نبه تعالى على معالم السماء، نبه على ما خلق في الأرض من الأمور العجيبة والأشياء المختلفة، من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها، وما فيها من المنافع والخواص التي تدعو الإنسان إلى التذكر والتفكر، تذكرا يهدي إلى الشكر والطاعة للباري سبحانه وتعالى [53]، قال الله تعالى: {إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ} [آل عمران:190].

وآيات الكون السماوية والأرضية في القرآن الكريم أكثر من أن تحصى، ولا تكاد سورة تخلو من آية أو عدة آيات تتحدث عن السماء والأرض والماء والنبات والحيوان، التي يعرضها القرآن ويصفها بهدف ربط الإنسان بالكون وتلمس مظاهره واستقصاء أسراره لاستجلاء آثار القدرة الإلهية [54]، وإنما يختل التوزان في الكون بجهل الإنسان وتعديه على فطرة الله وأصل خلقته، وسننه الجارية في الكون، فيستحق العقاب الإلهي جزاء وفاقا: {ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ} [آل عمران:182].

وكلما توغل الإنسان في مسالك الإبداع الحضاري، وجرى لاهثا وراء صناعة التكنولوجيا، زاد جوره على الطبيعة، وأخل بالتوازن في تركيبة مفرداتها ونسب العلاقات بينها، "مما أدى إلى التصحر في بعض المناطق، وطغيان البحر على اليابسة في مناطق أخرى، وتغير المناخ العام، وارتفاع درجة الحرارة، وبروز مشكلة الأوزون بشكل بات مقلقا للبشرية في مستقبلها القريب"[55]. ومن ثم فإن من غايات الدعوة والشريعة الإسلامية العناية بالموارد الطبيعية؛ ضمانا للتوازن بين مكوناتها، والتناغم بين وظائف هذه الموارد، وإن بدا في الظاهر استقلال كل مورد بوظيفته. وهذه الغاية لا تكون إلا برعاية فطرة الله، وعنايته بخلقه، ونواميسه المطردة التي لا تشذ عن فلك الإعجاز الإلهي الباهر في الكون والأنفس.

المطلب الثاني: مواجهة الإفساد في الأرض.

إن التعدي على الطبيعة؛ إفساد في الأرض بالتعبير القرآني، لأن قوله تعالى: {وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا} [الأعراف:56]، نهي عن إيقاع ماهية الفساد في الأرض بنوعيه المادي والمعنوي.

أما المادي: فيشمل تخريب العامر، وتنجيس الطاهر، وإماتة الحي، وتبديد الثروة، وإضاعة المال وإهدار الموارد، وتعطيل المنافع.

وأما المعنوي: فيتناول معصية الله، ومخالفة أمره، واستباحة حرماته، وإظهار الفواحش، ونشر الرذائل، وتعطيل الحقوق، ومداهنة الأقوياء، وإهمال الضعفاء، والسكوت عن الباطل، والمجاملة في الحق وغير ذلك من صور الفساد، فالراجح عند أهل التفسير[56] إبقاء لفظ الفساد على عمومه وإطلاقه ليتناول أنواع الانحراف الواقع والمتوقع، ومن هنا يصبح العبث بالموارد الطبيعية فسادا يحارب بظاهر الآية، لأنه تَعَدٍّ صريح على فطرة الله، ومناقضة لمقاصده في الإنشاء والخلق، وتنكُّر للنعم الضافية، وما بعد هذه المكابرة إلا سوء العقبى، والعياذ بالله.

فإذا كان الإصلاح رسالة الإسلام في العالمين، فإن من أوكد مقتضياته اجتثاث كل فساد يحيق بالطبيعة، وهي مورد الرزق، ومثابة الأمن، ومجال الصنع الإلهي المعجز، فكيف يصان جوهر الدين، وتحفظ مقاصده الخمسة، والأيدي العابثة تعيث في الأرض فسادا، غير مبالية بأن النعم إذا لم تصن كان العقاب عاجلا بزوالها، وآجلا بالعذاب الشديد، في الدنيا قبل الآخرة؟ قال تعالى: {ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم:41].

المبحث الثالث: رعاية أمانة الاستخلاف في الأرض.

إن الإخبار الإلهي بخلق الإنسان جاء مشفوعا ببيان مهمته الوجودية التي أنيطت به وهي الاستخلاف. وإعلاء لشأن هذه المهمة سمي المخلوق الجديد بوظيفته الاستخلافية: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة:30][57]، والاستخلاف يعني تنفيذ مرادات الله في الأرض، وتحقيق قيومية شرعه على الواقع، عن طريق الترقي بالجانب الروحي والجسدي إلى حد

الاكتمال الموصوف في الآية: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ} [الانشقاق:6]، وهذا الترقي نحو المستخلف والاقتراب منه على سبيل الطاعة لا يُنال إلا بمسلكين: المجاهدة والإجهاد.

أما الأول: فتطويع للروح على التسامي إلى الأفق الإلهي اقتباسا لأوامر الخلافة فعلا وتركا.

وأما الثاني: فترويض للذات على مباشرة السعي في الأرض إنشاء وتعميرا. ومن غايات الاستخلاف تعمير الكون: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا} [هود:61]، ومعنى "استعمركم": طلب منكم عمارتها[58]، وعمارة الأرض إنما تتم بالغرس والزرع، والتشجير والتخضير، والبناء والإحياء، والبعد عن مواطن الفساد والإتلاف، وهذا لعمري جوهر الرعاية التي ينبغي أن تحاط بها البيئة، فمن كان راعيا لها بدفع الاختلال عنها، وتنمية مواردها ومكوناتها، فهو حقيق بلقب الخليفة، وجدير بتحمل الأمانة، لأنه تصرف فيها تصرف الأمين العاقل فيما استخلف فيه، لا تصرف المالك المنفرد بسلطانه الذي يحكم بما يريد، ولا يسأل عما يفعل.

ومن ثم فإن التوجيهات الإسلامية في العناية بالموارد الطبيعية كانت تدور في فلك غاية الاستخلاف، لأن المهمة الوجودية للإنسان تقتضي مراعاة قوانين الاستثمار وآداب التسخير في التعامل مع الموارد الطبيعية ومفردات الكون، حتى يُحفظ التوازن، وتُراعى الفطرة، وتُستوفى غاية الخالق في خلقه متوافقة مع فطرة الله وصبغته التي خلق الخلق عليها.

المبحث الرابع: الانتفاع بالموارد الطبيعية.

أعد الله تعالى الكون على أمثل صورة لاستقبال الإنسان، وسخر موارده لخدمته تسخيرا، "فحدد الأبعاد والقوانين والأحجام بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخلافة الإنسان في الأرض، وما يستجيب لقدرته على التعامل العمراني مع الطبيعة تعاملا إيجابيا فعالا" [59]، وهذه حقيقة كونية مسطورة في قوله: {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية:13]، ولعل من أبرز دلائل هذا التسخير الكوني؛ ما أجري عليه الكون من قوانين حاكمة تتناسب كما وكيفا مع تركيبة الإنسان وحقيقة وجوده ابتداء، وما يسر من أسباب بقاء نوعه واستقرار عيشه، كالخصوبة لتوفير القوت: {يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ} [النحل:11]، والانبساط لتيسير التنقل والتطواف بالبر والبحر: {۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي

سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ} [الجاثية:12]، {وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ١٩ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا} [نوح:19-20]، وقبل هذا وذاك؛ الثبات في قانون التركيب والحركة الذي يهتدي به العقل إلى اكتشاف تلك القوانين واستيعابها واستثمار الكون بها[60].

إن دعوة الإسلام إلى العناية بالموارد الطبيعية معللة بأكثر من حكمة أو مصلحة، إلا أن يسير الانتفاع بالموارد والطاقات على رأس الغايات المرعية؛ لأن الكون بنعمه الظاهرة والباطنة مسخر للإنسان، وموقوف على مصالحه ومنافعه، لا يستعصي عليه شيء من موارد الرزق، وثروات الطبيعة، ما روعيت نواميس الله في الوجود، وغاياته في الخلق. وإذا كان الغرب يعلل التردي الاقتصادي بفقر الموارد وتكاثر البشر، فإن المنظور الإسلامي لا يقر هذا التعليل، لأن نعم الله لا يحيط بها عد ولا إحصاء، وخزائنه في الكون لا تنضب أو تغيض؛ وإنما البلاءُ آتٍ من الإنسان نفسه الذي لم يحسن صنعًا في تسخير وتيسير موارده، فجار على النعمة، وعوقب بزوالها وحلول النقمة[61].

المبحث الخامس: شكر نعم الله تعالى

إن الموارد نعم خلقها الله فسواها، وهيأها لتكون مسخَّرة لتلبية حوائج الإنسان، ومن حق كل نعمة ظاهرة أو باطنة أن تقابل بالشكر اللائق والامتنان البالغ، حتى يصونها واهبها الله سبحانه من الزوال، ويبارك فيها ويزيد، قال تعالى: {لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ} [إبراهيم:7].

حيث إن من الغايات الدعوية في العناية بالموارد الطبيعية بناء شخصية المسلم الواعي والمثقف صاحب السلوك السوي، والداعي للإيجابية في الحياة، ومن ذلك ما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام: (وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة)[62]، وإن باب الصدقات والحسنات واسع وشامل لا كما يفهمه بعض المسلمين اليوم أنه في العبادات المحضة، وهذا من المفاهيم الخاطئة، لأن مقتضى العبودية لله قد يخفى ربما حتى عن أذهان بعض الدعاة والمربين، وذلك أن العناية بالموارد الطبيعية من مقتضى العبودية لله وفعل الخير، ومن غايات الدعوة الإسلامية ومن الأعمال الصالحة التي يؤجر عليها الإنسان كالصلاة والصيام وتلاوة القرآن، حتى لو لم ينتفع بهذه الموارد الطبيعية انتفاعا ظاهرا وحاضرا كما قالﷺ:(إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم

فسيلة فليغرسها)[63]، لأن الغاية من ذلك العبادة لله وإيجاد القيم والمبادئ للمجتمع المسلم، وإحياء روح المبادرة والفاعلية والسلوك الإيجابي للفرد المسلم في العناية بكل ما فيه خير ونفع.

لكن إنسان العصر لم يراع حق النعم، ولم يقابلها بالشكر اللائق بكمالها وجلال المنعم بها، فسخرها في غير ما خلقت له، وتعدى على أصل خلقتها، واستنزفها من غير موجب أو حاجة، فكان من اللازم أن يذوق وبال ما قدمت يداه من كفران الأنعم، وعدوان المخلوقات.

وليس ما يشكوه العالم من آثار التلوث ونضوب الموارد إلا عقاب بزوال النعمة، وحلول النقمة بعد اختبار وابتلاء، إذ كانت النعم موفورة، والخيرات منشورة، لكن تصرف المستخلفين فيها لم يجر على سنن الاعتدال ومقتضى الحكمة، فبدلوا نعمة الله كفرا، وأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال تعالى: {وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ} [محمد:12].

المبحث السادس: الاستمتاع والتذوق الجمالي بما خلق الله.

إن في مجال الوجود ومسارح الكون من صور الجمال وآيات الإبداع ما يدل على قدرة الخالق عز وجل، فمن اللائق شرعا وذوقا صونها عن يد العبث والتطاول، لتكون -على دوام واستمرار- رافدا من روافد التذوق، والأنس النفسي، والتربية الجمالية، وباعثا حثيثا على شكر عطية المنعم وفضل الكريم.

وهذا التوازي بين "الانتفاع" و "الاستمتاع" مطلب ضروري تمليه تراكيب الإنسان الذي لا بد له من إشباع مزدوج لا يخل بأشواق المادة وأشواق الروح على حد سواء، وهذه الثنائية الفطرية كانت محط رعاية الشارع، فلم يغفل عنها قيد أنملة في كل تكليف جار وتشريع منصوب.

وقد كان القرآن الكريم حريصا على إثارة الاهتمام بالعنصر الجمالي في الحياة وأثره في التربية والتهذيب، ولذلك امتن على عباده بما أحل لهم من طيبات الزينة والجمال، وأنكر على من يحرمها على نفسه تضييقا وتعنتا، قال تعالى: { يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ} [الأعراف:31-32].

وفي السياق نفسه يلفت القرآن الأنظار إلى البعد الجمالي في كثير من مخلوقات الله، ومنها الكواكب التي جعلت -إضافة إلى منافعها في هداية السارين ورجم الشياطين- مصابيح تزين صدر السماء، وتوشح ظلمات الليل بنورها الجميل الفاتن، وهذا منظر لا أبهى منه لأولي الألباب، قال تعالى: {وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ} [سورة الملك:5].

لقد حرص الإسلام على العناية بالموارد الطبيعية بكافة مكوناتها، وذلك بإنشاء تصور كامل للحياة ونظامها وما تتطلبه من نهضة أو تطور وفق قواعد ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع تغير الزمان والمكان، وهذا ما يعطيها صفة الصلاحية المطلقة التي تحقق لأفرادها السعادة والرخاء في الدنيا والآخرة.

إن تقرير المبادئ الدعوية الإسلامية للموارد الطبيعية لم تكن ضربا من الخيال، ولا أسطورة من أساطير اليونان والرومان، وإنما هي جزء من الفطرة التي فطر الله عليها الناس، في توجه صادق إلى خالق الخلق كله، يقول تعالى: {فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ} [الروم:30]، فقد ورد ذكرها بوصفها أو ذكر بعض مكوناتها في آيات كثيرة من القرآن، وفي جملة ليست قليلة من الأحاديث كما مر بنا سابقا، فالموارد الطبيعية قد جعلها الله سبحانه في القرآن سبيلا موصلا إلى الإيمان عند التفكر والنظر، فإن الناظر في آيات القرآن يجد حديثا مفصلا عن الكون ومكوناته، ويجد من خلال ذلك دعوة للتفكر والاتعاظ والنظر في الآفاق بغية الوصول إلى الإيمان بالله العظيم، ومن ثم عبادته وطاعته، وذلك أعظم غاية، وكم هي الآيات التي تبين تسخير ما في الأرض للإنسان، وكذا الآيات التي فيها بيان منة الله على بني آدم في المآكل والمشارب، وبيان وجوب رعاية ذلك وشكر الله عليه، يقول الله سبحانه: {وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ} [الرعد:3].

ومن هنا يبدو الربط جليا في السياق القرآني بين العنصر النفعي والعنصر الجمالي؛ بل تقدم اعتبار الجمال على غيره؛ تأكيدا على أثره في الترويح عن النفس والترفيه ومتعة التذوق، وهي أغراض لا تعرى -في الحقيقة- عن النظر الاعتباري الإيماني وفي الحديث: "إن الله جميل يحب الجمال"[64].

المبحث السابع: التأمل والاعتبار عبر التفكر في آيات الكون.

إن الكون بعناصره الحية وغير الحية آيات باهرات تدل على قدرة الله تعالى دلالة الصنعة على الصانع، والأثر على المؤثر، وقد أُمرنا بالاعتبار والتفكر في هذه الآيات بوصفها صورا هادية إلى منابع الإيمان وأنوار الحق، وحوافز روحية ينشط بها الناظر المتأمل للعمل والطاعة، قال تعالى: {قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ} [يونس:101].

وإذا كان الله تعالى سطر آياته ومعجزاته ليهتدي بها أهل الإيمان، وينتفع بها طلاب الحق، فإنه أودع الكون أيضا من هذه وتلك صورا ناطقة بالجلال والكمال، وآخذة بالعقول والألباب، غير مسطورة ولا مقروءة؛ وإنما يستخرج خبيئها بفائض التأمل، وثاقب النظر، وموصول الاعتبار. قال علماؤنا: القرآن هو الكتاب المسطور، والكون هو الكتاب المنظور، قال أبو نواس[65]:

تأمل في نبات الأرض وانظر * إلى آثار ما صنع المليكُ
عيون من لجين شاخصات * بأحداق هي الذهب السبيكُ
على كثب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريكُ

إن هذه الغاية التأملية الاعتبارية تفوت بفوات العناية بالموارد الطبيعية، وحماية عناصرها الحية وغير الحية، لأن معالمها الكونية لو مسخت بعبث العابثين، لما تأتّى للإنسان العابد المتأمل أن يجيل النظر في روعتها وجلالها ويستنطق من خلالها معاني التوحيد الحق والإيمان الصادق[66].

الخاتمة: وفيها:

أهم النتائج والتوصيات.

بدراسة الغايات الدعوية للعناية بالموارد الطبيعية تبين لنا مدى اهتمام الدين الإسلامي بها وبمفهومها الواسع ومواردها المختلفة سواء أكانت حية أم غير حية، فقد أظهر أسس التعامل معها بحيث يمكن حمايتها والعناية بها.

ولقد تميز مفهوم الموارد الطبيعية في الإسلام بشموليته، فهو يضم كل مخلوقات الله من البحار، والأنهار، والجبال، والنبات، والحيوانات، والحشرات، فهذه المخلوقات سخرها الله سبحانه وتعالى للإنسان.

لذا فإن من غايات العناية بالموارد الطبيعية في الدعوة الإسلامية تحقيق العبادة لله كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [سورة الذاريات:56].

ولذلك فهو واجب ديني على كل فرد في أسرته أو مؤسسته، كما أنه واجب اجتماعي عام يقوم به كل مسؤول في مؤسسته، وكل راع في ولايته.

أولا: أهم النتائج

1. شمولية شريعة الإسلام ودعوته، ووفائها بجميع متطلبات البشرية، وقدرتها التامة على تنظيم حياة الناس تنظيما دقيقا، عادلا متقنا، وفي ذلك رد على المدعين قصورها وعجزها عن مسايرة ركب الحضارة ومستجدات العصر.
2. بعد النظر في تعريفات الموارد الطبيعية، ظهر أن أقرب معنى لها أنها: الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضم من مظاهر طبيعية (جمادات وأحياء) خلقها الله سبحانه، يتأثر الإنسان بها، ويؤثر فيها.
3. أن للدعوة الإسلامية غايات في العناية بالموارد الطبيعية، ومنها: حفظ التوازن، مواجهة الفساد في الأرض، رعاية أمانة الاستخلاف في الأرض، الانتفاع بالموارد الطبيعية على أحسن وجه، شكر نعم الله، الاستمتاع والتذوق الجمالي بما خلق الله، التأمل والاعتبار في التفكر في آيات الله في الكون.
4. أن الشرع الحنيف أمر بالاقتصاد في استعمال المياه، ونهى عن الإسراف، حتى فيما أوجب فيه الطهارة على العباد، تنبيها على وجوب رعاية النعم التي من أهمها نعمة الماء.
5. أن الأصل في الأرض كلها هو الطهارة بنفسها، وأنها مطهرة لغيرها، فيجوز استخدام أجزائها في إزالة النجاسة، وفي رفع الحدث، ولا يستثنى من ذلك إلا بعض المواضع التي صرح الشرع باستثنائها، كما أن الأرض المتنجسة يمكن تطهيرها بالماء، أو بغيره كالجفاف بسبب الشمس والرياح إذا لم يبق للنجاسة أثر فيها، ولذلك يجب أن تبقى التربة الزراعية نظيفة من كل الملوثات الكيميائية.
6. تعتبر الحيوانات موردا مهما من موارد الطبيعة، وهي تؤدي دورا أساسيا في حفظ التوازن، وقد سخرها الله سبحانه لتؤدي وظيفتها في نفع الإنسان، وعمارة هذا الكون، لذلك جاءت

الدعوة الإسلامية ونصوص الشريعة برعاية حقوق الحيوانات والعناية بها، ورحمتها والإحسان إليها، ووجوب النفقة عليها، كما جاء الشرع بالنهي عن الإساءة إلى الحيوانات، وتحريم إلحاق الأذى بها في صور كثيرة.

7. حث الشارع الحكيم على الغرس والزرع، ورتب على ذلك الأجر والثواب، ولذلك ذكر جماعة من الفقهاء أن الاشتغال بالزراعة من أفضل المكاسب وأزكاها وأكثرها أجرا إذا كانت على وجهها الشرعي.

ثانيا: التوصيات

1. تنمية الوعي لدى الإنسان المسلم عن طريق تزويده بالرؤية الصحيحة عن الموارد الطبيعية ومكوناتها بما يحقق دوره المطلوب في الأرض باعتباره خليفة الله فيها بكل الوسائل والأساليب المتاحة المشروعة.

2. إدخال مواد دراسية في مختلف مراحل التعليم، والتركيز على الأفكار الأساسية، أو الموضوعات المتعلقة بالموارد الطبيعية للمجالات الأخرى داخل هذه المجالات، منها تربية النشء وتوعية وتثقيف الكبار، والتعاون مع المؤسسات الأهلية، والرسمية الإقليمية، والدولية.

3. توجيه الإعلام ووسائله الفعالة إلى نشر الوعي، وتكثيف برامجه الداعية للعناية بالموارد الطبيعية، وإطلاع الأفراد على أخطار التلوث، وكذلك زيادة النشرات، والبحوث والدوريات المتخصصة، والتي تحمل طابع التوجيه والإرشاد للتعامل مع الموارد الطبيعية؛ لإخراج جيل مشبع بها وداعٍ لها.

4. تعد نظافة المدن والقرى وسلامتها من الملوثات والنفايات الضارة، من أهم المصالح العامة للمسلمين، التي يقوم بها ولي أمرهم، ويتم ذلك في هذا العصر بطرق عدة، يتم فيها جمع النفايات والتخلص منها، والواجب على المسؤولين في الدولة مراعاة الشروط والمواصفات الصحية، لاستخدام أي طريقة من تلك الطرق، وذلك بحسب ظروف أهل كل بلد، والواجب - أيضا - تطوير البحث لرفع كفاءة العمل لإدارة النفايات إدارة صحية واقتصادية ناجحة.

5. التركيز على المواد والمنتجات الطبيعية والتعامل مع الشركات التي تعمل على نحو أفضل.

6. دعم وتطوير أمن الموارد الطبيعية والحياة الفطرية بحمايتها والعناية بها، وذلك بوضع استراتيجيات وبرامج متجددة من قبل الوزارة المعنية بالموارد الطبيعية.

الهوامش والإحالات:

(1) الزرقا، شرح القواعد الفقهية: 47/1.

(2) الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة: 891/2.

(3) البخاري، صحيح البخاري: 57/1، كتاب الوضوء، باب البول في الباب الدائم، حديث رقم (239).

(4) الزرقا، شرح القواعد الفقهية: 47/1.

(5) الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة: 891/2.

(6) ابن منظور، لسان العرب: 143/15.

(7) الخراشي، شرح مختصر خليل: 121/1. البعلي، المطلع على ألفاظ المقنع: 259-268. الموسوعة الفقهية الكويتية: 131/31. البزدوي، كشف الأسرار: 179/2.

(8) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: 316.

(9) مسعود، معجم الرائد: 518/1.

(10) شلبي، البيئة والمناهج الدراسية: 16.

(11) عبد المقصود، البيئة والإنسان: 21.

(12) ينظر: قاري، تلوث الهواء في التراث الإسلامي: 24.

(13) غريبة، والفرحان، المدخل إلى العلوم البيئية: 340.

(14) عبد الجواد، تلوث الهواء: 190.

(15) ينظر: غريبة، والفرحان، المدخل إلى العلوم البيئية: 54. حياتي، أساسيات علم البيئة: 23. عابد، وسفاريني، أساسيات علم البيئة: 40.

(16) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 38.

(17) رواه مسلم، صحيح مسلم: 179/5، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (523).

(18) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 21 /535.

(19) الشربيني، مغني المحتاج: 78/1.

(20) أخرجه: البخاري، صحيح البخاري: 634/1، كتاب الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، حديث رقم (438).

(21) أخرجه: مسلم، صحيح مسلم: 178/5، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، حديث رقم (522).

(22) ابن دقيق، إحكام الأحكام: 115/1.

(23) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 236/5.

(24) السعدي، تيسير الكريم الرحمن: 505.

(25) باقادر، دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام: 10.مصلحة الأرصاد وحماية البيئة، الرياض، 1403هـ

(26) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 123/10، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 575/2، 244/3.

(27) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 444/1. ينظر: الطبري، جامع البيان: 133/14.

(28) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 444/1. ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 135/10. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 576/2.

(29) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 111/7. الشنقيطي، أضواء البيان: 332/2-396.

(30) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 112/7. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 2183/2.

(31) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 563/2.

(32) الشنقيطي، أضواء البيان: 332/2-334.

(33) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 463/1.

(34) الطبري، جامع البيان: 90/6. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 16/2. الشنقيطي، أضواء البيان: 196/4.

(35) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 66/6. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 17/2.

(36) الطبري، جامع البيان: 28/23. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 55/15. الشنقيطي، أضواء البيان: 260/5.

(37) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 463/1.

(38) الغزالي، الحكمة في مخلوقات الله: 116.

(39) ينظر: العلي، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي: 46. السحيباني، أحكام البيئة: 30.

40) مسلم، صحيح مسلم: 1548/3، كتاب الصيد والذبائح، باب الأمر بالإحسان، حديث رقم (1955).

41) البخاري، صحيح البخاري: 193/3، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، حديث رقم (2731).

(42) دراسة أساسية عن المحافظة على البيئة في الإسلام: 12.

(43) رواه: مسلم، صحيح مسلم: 164/10، كتاب المساقاة والمزارعة، باب فضل الغرس والزرع، حديث رقم (1552).

(44) ينظر: الشاطبي، الموافقات:341، أبو سليمان، مبادئ إسلامية في حماية الموارد الطبيعية: 75. مرسي، الإسلام والبيئة: 43.

(45) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 409/3.

(46) ابن عطية، المحرر الوجيز: 199/4.

(47) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 828/1.

(48) ابن عطية، المحرر الوجيز: 298/3.

(49) فقي، البيئة: 21.الإسلام وحماية البيئة من التلوث: 25، 26.

(50) الشنقيطي، أضواء البيان: 501/8.

(51)نفسه: 501/8، 502.

(52) نفسه: 423/8.

(53) الطبري، جامع البيان: 87/14. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 565/2.

(54) قنيبي، المشاهد في القرآن الكريم: 16، رقم (150). بركة، الإعجاز القرآني وجوهره وأسراره: 29- 34.

(55) ينظر: الريسوني، المحافظة على البيئة: 96-210.

(56) ينظر: الشوكاني، فتح القدير: 2/ 222.

(57) البغوي، معالم التنزيل: 25.ابن كثير، تفسير القران العظيم: 74. السعدي، تفسير تيسير الكريم المنان: 38. ابن تيمية، مجموع الفتاوي: 35/43.

(58) ابن الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل: 108.

(59) النجار، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: 58.

(60) نفسه، الصفحة نفسها.

(61) ينظر: آل الشيخ، اقتصاديات الموارد الطبيعية والبيئة: 316.

(62) البخاري، الأدب المفرد: 307، حديث رقم (891). الترمذي، سنن الترمذي: 4/ 339.

(63) البخاري، الأدب المفرد: 479.

(64) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم (91).

(65) أبو نواس، واسمه الحسن بن هانئ، ويكنى أبا علي، ولد بالأهواز، ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة في بيت خمارة كان يألفها، وكان عمره خمسا وخمسين سنة، ينظر: ابن المعتز، طبقات الشعراء: 193/1.

(66) ينظر: الريسوني، المحافظة على البيئة من منظور اسلامي: 112.

قائمة المراجع والمصادر:

- **القرآن الكريم.**

1) آل الشيخ، حمد بن محمد، اقتصاديات الموارد الطبيعية والبيئة، مكتبة العبيكان، الرياض، 2008م.
2) باقادر، أبو بكر، وآخرون، دراسة أساسية عن حماية البيئة في الإسلام، مصلحة الأرصاد وحماية البيئة، السعودية، الرياض، 1403هـ.
3) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الطبعة السلطانية، مصر، 1311هـ.
4) البخاري، محمد ين إسماعيل، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، 1407هـ

5) بركة، عبد الغني محمد سعد، الاعجاز القرآني وجوهه واسراره، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، 1989م.
6) البزدوي، عبد العزيز بن أحمد، كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام، شركة الصحافة العثمانية، إسطنبول، 1308هـ.
7) البعلي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وياسين محمود الخطيب، مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، 1423هـ.
8) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن: تفسير البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الرياض، 1417هـ.
9) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1395هـ.
10) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، مجموع الفتاوي، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، 1415هـ.
11) الجصاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ.
12) حياتي، الطيب أحمد المصطفى، أساسيات علم البيئة، مكتبة المتنبي، الدمام،1427هـ.
13) الخرشي، محمد بن عبد الله، شرح مختصر خليل للخرشي، دار الفكر، بيروت، 1317هـ.
14) ابن دقيق، محمد بن علي بن وهب، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، د.ت.
15) الريسوني، قطب، المحافظة على البيئة من منظور إسلامي، دار ابن حزم، بيروت، 1429هـ.
16) الزحيلي، محمد مصطفى، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، دار الفكر، بيروت، 1427هـ.
17) الزرقا، أحمد بن محمد، شرح القواعد الفقهية، دار القلم، دمشق، 1409هـ.
18) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م.
19) السحيباني، عبد الله، أحكام البيئة في الفقه الإسلامي، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1429هـ.
20) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420هـ.
21) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض، 1424هـ.
22) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، مصر، 1997م.

23) الشربيني، محمد بن أحمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تحقيق: علي معوض، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
24) شلبي، أحمد إبراهيم، البيئة والمناهج الدراسية، مؤسسة الخليج العربي، الرياض، 1984 م.
25) الشنقيطي، محمد بن محمد، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1415هـ.
26) الشنقيطي، محمد بن محمد، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، 1415هـ.
27) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، 1414هـ.
28) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: تفسير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، 1422هـ.
29) ابن عبد المعتز، عبد الله محمد، طبقات الشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فرج، دار المعارف القاهرة، 1976م.
30) ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ.
31) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ.
32) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
33) عابد، عبد القادر، وسفاريني، غازي، أساسيات علم البيئة، دار وائل للطباعة والنشر، عمّان، 2008.
34) عبد الجواد، أحمد عبد الوهاب، تلوث الهواء، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م.
35) عبد المقصود، زين الدين، البيئة والإنسان رؤية إسلامية، دار البحوث العلمية، 1986م.
36) العلي، صالح حميد، عناصر الإنتاج في الاقتصاد الإسلامي والنظم الاقتصادية المعاصرة، دار اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، 2000م.
37) غانم، حسين مصطفى، الإسلام وحماية البيئية من التلوث، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1997م.
38) غرايبة، سامح، والفرحان، يحيى، المدخل إلى العلوم البيئية، دار الشروق، عمّان، 1996م.
39) الغزالي، محمد بن محمد، الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق: محمد قباني، دار إحياء العلوم، بيروت، 1997م.
40) فقي، محمد عبد القادر، البيئة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1413هـ.
41) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426 هـ.
42) قاري، لطف الله، تلوث الهواء في التراث الإسلامي، مجلة العلوم التقنية، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية، ع 4، 1408هـ.

43) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ.
44) قنيبي، حامد صادق، المشاهد في القرآن الكريم، مكتبة المنار، عمّان، 1984م.
45) الكلبي، محمد بن أحمد الجزري، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم هاشم، المكتبة العلمية، بيروت،1995م.
46) مرسي، محمد مرسي محمد، الإسلام والبيئة، مطبوعات أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1999م.
47) مسعود، جبران، معجم الرائد، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.
48) مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، 1412هـ.
49) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، 1404 - 1427هـ.
50) الموقع الرسمي للرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة، السعودية: www.pme.gov.sa
51) الموقع الرسمي لوزارة البيئة والمياه والزراعة، السعودية: www.mewa.gov.sa
52) النجار، عبد المجيد، خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن، 1993م.

Arabic References

- al-Qur'ān al-Karī.

1) Āl al-Shaykh, Ḥamad ibn Muḥammad, Iqtiṣādīyāt al-Mawārid al-ṭabīʿīyah & al-bīʾah, Maktabat al-ʿUbaykān, al-Riyāḍ, 2008.
2) Bāqādir, Abū Bakr, & ākharūn, dirāsah asāsīyah ʿan Ḥimāyat al-bīʾah fī al-Islām, Maṣlaḥat al-arṣād & ḥimāyat al-bīʾah, al-Saʿūdīyah, al-Riyāḍ, 1403.
3) al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, al-Ṭabʿah al-Sulṭānīyah, Misr, 1311.
4) al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismāʿīl, al-Adab al-Mufrad, Ed. Muḥammad Fu'ād ʿAbd al-Bāqī, al-Maṭbaʿah al-Salafīyah, al-Qāhirah, 1407.
5) Barakah, ʿAbd al-Ghanī Muḥammad Saʿd, al-Iʿjāz al-Qur'ānī wjwhh & asrāruh, Maktabat Wahbah lil-Ṭibāʿah & al-Nashr, al-Qāhirah, 1989.
6) al-Bazdawī, ʿAbd al-ʿAzīz ibn Aḥmad, Kashf al-asrār ʿan Uṣūl Fakhr al-Islām, Sharikat al-Ṣiḥāfah al-ʿUthmānīyah, Isṭanbūl, 1308.
7) al-Baʿlī, Muḥammad ibn Abī al-Fatḥ ibn Abī al-Faḍl, al-Muṭliʿ ʿalá alfāẓ al-Muqniʿ, Ed. Maḥmūd al-Arnā'ūṭ, & Yāsīn Maḥmūd al-Khaṭīb, Maktabat al-Sawādī lil-Tawzīʿ, Jiddah, 1423.

8) al-Baghawī, al-Ḥusayn ibn Masʿūd, Maʿālim al-Tanzīl fī Tafsīr al-Qur'ān: Tafsīr al-Baghawī, Ed. Muḥammad ʿAbd Allāh al-Nimr, & ʿUthmān Jumʿah Ḍumayrīyah, & Sulaymān Muslim al-Ḥarsh, Dār Ṭaybah, al-Riyāḍ, 1417.

9) al-Tirmidhī, Muḥammad ibn ʿĪsá ibn Sūrat, Sunan al-Tirmidhī, Ed. Aḥmad Muḥammad Shākir, & Muḥammad Fu'ād ʿAbd al-Bāqī, & Ibrāhīm ʿAṭwah ʿAwaḍ, Maṭbaʿat Muṣṭafá al-Bābī al-Ḥalabī, al-Qāhirah, 1395.

10) Ibn Taymīyah, Aḥmad ibn ʿAbd al-Ḥalīm ibn ʿAbd al-Salām, Majmūʿ al-fatāwī, Ed. ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn Qāsim, Majmaʿ al-Malik Fahd li-Ṭibāʿat al-Muṣḥaf al-Sharīf, al-Madīnah al-Nabawīyah, 1415.

11) al-Jaṣṣāṣ, Aḥmad ibn ʿAlī, Aḥkām al-Qur'ān, Ed. Muḥammad Ṣādiq al-Qamḥāwī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʿArabī, Bayrūt, 1405.

12) ḥayātī, al-Ṭayyib Aḥmad al-Muṣṭafá, Asāsīyāt ʿilm al-bī'ah, Maktabat al-Mutanabbī, al-Dammām, 1427.

13) al-Kharashī, Muḥammad ibn ʿAbd Allāh, sharḥ Mukhtaṣar Khalīl llkhrshy, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1317.

14) Ibn Daqīq, Muḥammad ibn ʿAlī ibn Wahb, Iḥkām al-aḥkām sharḥ ʿUmdat al-aḥkām, Maṭbaʿat al-Sunnah al-Muḥammadīyah, al-Qāhirah, N. D.

15) al-Raysūnī, Quṭb, al-Muḥāfaẓah ʿalá al-bī'ah min manẓūr Islāmī, Dār Ibn Ḥazm, Bayrūt, 1427.

16) al-Zuḥaylī, Muḥammad Muṣṭafá, al-qawāʿid al-fiqhīyah & taṭbīqātuhā fī al-madhāhib al-arbaʿah, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1427.

17) al-Zarqā, Aḥmad ibn Muḥammad, sharḥ al-qawāʿid al-Fiqhīyah, Dār al-Qalam, Dimashq, 1409.

18) al-Ziriklī, Khayr al-Dīn ibn Maḥmūd ibn Muḥammad, al-Aʿlām, Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, Bayrūt, 2002.

19) al-Suḥaybānī, ʿAbd Allāh, Aḥkām al-bī'ah fī al-Fiqh al-Islāmī, Dār Ibn al-Jawzī, al-Qāhirah, 1429.

20) al-Saʿdī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir, Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī tafsīr kalām al-Mannān, Ed. ʿAbd al-Raḥmān ibn Muʿallā al-Luwayḥiq, Mu'assasat al-Risālah, Bayrūt, 1420.

21) al-Saʿdī, ʿAbd al-Raḥmān ibn Nāṣir, Taysīr al-Karīm al-Raḥmān, Wizārat al-Shuʾūn al-Islāmīyah, al-Riyāḍ, 1424.

22) al-Shāṭibī, Ibrāhīm ibn Mūsá ibn Muḥammad, al-Muwāfaqāt fī uṣūl al-sharīʿah, Ed. Abī ʿUbaydah Mashhūr ibn Ḥasan Āl Salmān, Dār Ibn ʿAffān, Miṣr, 1997.

23) al-Shirbīnī, Muḥammad ibn Aḥmad al-Khaṭīb, Mughnī al-muḥtāj ilá maʿrifat maʿānī alfāẓ al-Minhāj, Ed. ʿAlī Muʿawwaḍ, ʿĀdil ʿAbd al-Mawjūd, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1415.

24) Shalabī, Aḥmad Ibrāhīm, al-bīʾah & al-Manāhij al-dirāsīyah, Muʾassasat al-Khalīj al-ʿArabī, al-Riyāḍ, 1984 .

25) al-Shinqīṭī, Muḥammad ibn Muḥammad, Aḍwāʾ al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qurʾān bi-al-Qurʾān, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1415.

26) al-Shinqīṭī, Muḥammad ibn Muḥammad, Aḍwāʾ al-Bayān fī Īḍāḥ al-Qurʾān bi-al-Qurʾān, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1415.

27) al-Shawkānī, Muḥammad ibn ʿAlī ibn Muḥammad, Fatḥ al-qadīr, Dār Ibn Kathīr, Dār al-Kalim al-Ṭayyib, Dimashq, Bayrūt, 1414.

28) al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr, Jāmiʿ al-Bayān ʿan Taʾwīl āy al-Qurʾān : tafsīr al-Ṭabarī, Ed. ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Muḥsin al-Turkī, Dār Hajar, al-Qāhirah, 1422.

29) Ibn ʿAbd al-Muʿtazz, ʿAbd Allāh Muḥammad, Ṭabaqāt al-shuʿarāʾ, Ed. ʿAbd al-Sattār Aḥmad Faraj, Dār al-Maʿārif al-Qāhirah, 1976.

30) Ibn ʿAṭīyah, ʿAbd al-Ḥaqq ibn Ghālib ibn ʿAbd al-Raḥmān, al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-ʿAzīz, Ed. ʿAbd al-Salām ʿAbd al-Shāfī Muḥammad, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1422.

31) Ibn Kathīr, Ismāʿīl ibn ʿUmar, tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm, Ed. Muḥammad Ḥusayn Shams al-Dīn, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1419.

32) Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram ibn ʿAlī, Lisān al-ʿArab, Dār Ṣādir, Bayrūt, 1414.

33) ʿĀbid, ʿAbd al-Qādir, wsfāryny, Ghāzī, Asāsīyāt ʿilm al-bīʾah, Dār Wāʾil lil-Ṭibāʿah & al-Nashr, ʿAmmān, 2008.

34) ʿAbd al-Jawwād, Aḥmad ʿAbd al-Wahhāb, talawwuth al-hawāʾ, al-Dār al-ʿArabīyah lil-Nashr & al-Tawzīʿ, al-Qāhirah, 1991.

35) ʿAbd al-Maqṣūd, Zayn al-Dīn, al-bīʾah & al-insān ruʾyah Islāmīyah, Dār al-Buḥūth al-ʿIlmīyah, 1986.

36) al-ʿAlī, Ṣāliḥ Ḥamīd, ʿAnāṣir al-intāj fī al-iqtiṣād al-Islāmī & al-nuẓum al-iqtiṣādīyah al-muʿāṣirah, Dār al-Yamāmah lil-Ṭibāʿah & al-Nashr, Dimashq, 2000.

37) Ghānim, Ḥusayn Muṣṭafá, al-Islām & ḥimāyat al-bīʾīyah min al-talawwuth, Jāmiʿat Umm al-Qurá, Makkah al-Mukarramah, 1997.

38) Gharāyibah, Sāmiḥ, wālfrḥān, Yaḥyá, al-Madkhal ilá al-ʿUlūm al-bīʾīyah, Dār al-Shurūq, ʿAmmān, 1996.

39) al-Ghazālī, Muḥammad ibn Muḥammad, al-Ḥikmah fī Makhlūqāt Allāh, Ed. Muḥammad Qabbānī, Dār Iḥyāʾ al-ʿUlūm, Bayrūt, 1997.

40) Fiqī, Muḥammad ʿAbd al-Qādir, al-bīʾah, Maktabat Ibn Sīnā, al-Qāhirah, 1413.

41) al-Fayrūz Ābādī, Muḥammad ibn Yaʿqūb, al-Qāmūs al-muḥīṭ, Ed. Maktab taḥqīq al-Turāth fī Muʾassasat al-Risālah, Muʾassasat al-Risālah, Bayrūt, 1426 .

42) Qārī, Luṭf Allāh, talawwuth al-hawāʾ fī al-Turāth al-Islāmī, Majallat al-ʿUlūm al-Tiqniyah, Madīnat al-Malik ʿAbd al-ʿAzīz lil-ʿUlūm & al-Tiqnīyah, al-Saʿūdīyah, ʿA 4, 1408.

43) al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad ibn Abī Bakr, al-Jāmiʿ li-aḥkām al-Qurʾān, Ed. Aḥmad al-Baraddūnī, Ibrāhīm Aṭṭafayyish, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, 1384.

44) Qunaybī, Ḥāmid Ṣādiq, al-mashāhid fī al-Qurʾān al-Karīm, Maktabat al-Manār, ʿAmmān, 1984.

45) al-Kalbī, Muḥammad ibn Aḥmad al-Jazarī, al-Tasʾhīl li-ʿUlūm al-tanzīl, Ed. Muḥammad Sālim Hāshim, al-Maktabah al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1995.

46) Mursī, Muḥammad Mursī Muḥammad, al-Islām & al-bīʾah, Maṭbūʿāt Akādīmīyat Nāyif al-ʿArabīyah lil-ʿUlūm al-Amnīyah, al-Riyāḍ, 1999.

47) Masʿūd, Jubrān, Muʿjam al-Rāʾid, Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, Bayrūt, 1992.

48) Muslim ibn al-Ḥajjāj al-Qushayrī, Ṣaḥīḥ Muslim, Ed. Muḥammad Fuʾād ʿAbd al-Bāqī, Dār al-ḥadīth, al-Qāhirah, 1412.

49) al-Mawsūʿah al-fiqhīyah al-Kuwaytīyah, Wizārat al-Awqāf & al-Shuʾūn al-Islāmīyah, al-Kuwayt, 1404-1427.

50) al-mawqiʿ al-rasmī lil-riʾāsah al-ʿĀmmah lil-Arṣād & ḥimāyat al-bīʾah, al-Saʿūdīyah : www. pme. gov. sa

51) al-mawqiʿ al-rasmī li-Wizārat al-bīʾah & al-miyāh & al-zirāʿah, al-Saʿūdīyah : www. mewa. gov. sa

52) al-Najjār, ʿAbd al-Majīd, khilāfat al-insān bayna al-waḥy & al-ʿaql, al-Maʿhad al-ʿĀlamī lil-Fikr al-Islāmī, Wāshinṭun, 1993.